البعث الإسلامي

مجلة شهرية إسلامية أدبية

المجلد السادس
العدد الخامس

رجب ١٣٨١ هـ — يناير ١٩٦٢ م

REGD NO A 751 THE ALBAASULISLAMI
LUCKNOW

محتويات العدد

بل نريدها ثورة جامعة	محمد الحسنى	١
فرويد ، نظرية اللاشعور	للدكتور محمد رفيع الدين	٧
الدين و الدولة فى الاسلام	للأستاذ محمد المبارك	١٤
موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين	للاستاذ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى	٢١
الشيوعية لاتثق بالانسان	الدكتور مصطفى السباعى	١٧
نقد و تعريف	سعيد الأعظمى الندوى	٣١
أخبار ثقافية و إجتماعية	. . .	٣٤

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية ادبية شهرية

تصدر فى الهند

رئيس التحرير محمد الحسنى

مدير التحرير سعيد الأعظمى

الادرة و التحرير : ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند،

الاشتراك السنوى | فى الهند و باكستان ٥ - روبيات
فى الخارج ، بالبريد العادى ٧ - روبيات ، أو مايعادلها
فى لخارج، بالبريد الجوى ٢٠ - روبية « « «

عنوان المجلة | دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند .

ترسل الاشتراكات فى باكستان إلى العنوان التالى ،
دفتر ، فاران ، كيمبل اسٹريٹ ، كراچى - ١

سيد محمد حسنى پرنٹر پبليشر نے ندوه پريس مين چهپوا كر
ندوة العلماء لكهنؤ سے شائع كيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية أدبية شهرية

المجلد السادس

رجب ١٣٨١ هـ العدد الخامس يناير ١٩٦٢ م

موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين

هذه هى الحلقة الثانية لمقال الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى نشرناه فى العدد السابق ، وقداطلع عليه الأستاذ بعد طبعه فتناوله بالزيادة والتنقيح ، الذىجعل المقال أكثر مادة و قوة ، و بما أنهذا الموضوع ليس قضية المسلمين فى الهند وحدهم وإنما هى قضية كل قطر إسلامى يسكنه المسلمون ، سيفرد المقال فى رسالة ، إن شاء الله . « التحرير »

و قد استشهد الدكتور سمپورنانند فى بعض خطبه و مقالاته بالشاعر الايرانى العظيم الفردوسى الذى نظم الملحمة

الايرانية الذائعة الصيت التى تعرف « بشاهنـــامه » ، و قدتغنى فيها ببطولة رستم وسهراب والأمجاد الفارسية القديمة وملاحمها و بطولاتها ، و قداستدل به الدكتور على أنه ليس بمستنكر على مسلم و لم يثر ذلك سخطا أو إنكاراً فى الأوساط الإسلاميـــة ولم يعد ذلك من عيوب الشاعر ودليلا على ضعف عقيدته وإخلاصه للإسلام ، وتمنى لو كان فى الشعب الإسلامى الهنـــدى شاعر يتغنى بمجد الهند و بطولات العهد الذى سبق دخول الإسلام فى هذه البلاد و شخصيات العهد القديم و رجالاته .

إننا نريد أن نقول للدكتور أن ذلك لم يكن ، و أن الفردوسى لما بالغ فى تمجيد العنصرية الإيرانية والإفتخار بأبطال إيران القديمة و تقديسهم حتى تورط فى انتقاض فضل العرب و هجائهم فى بعض الأحيان ، ولم يعرف للفتح الاسلامى فضله فى انقاذ الفرس من براثن الوثنية المجوسية وعبارة النار والشهوات وجور الطبقات العاليـة إستهدف سخط المسلمين المخلصين فى إيران نفسها واستحق ملامـة كثير من الفضـــلاء الإيرانيين فى القديم و نظمت منظومات وملاحم فى انتقاده والرد عليه ، منها « عمر نامه » لشاعر إيرانى و هى الملحمة الإسلامية التى أشاد فيها بالفتح الإسلامى ، و ما جر على الإيران من سعادة و نعمة ، و منها « صولة فاروقى » و من أبياته السائرة البيت الذى انتقد فيه الشاعر النزعة القومية فى الفردوسى و نسبها إلى العراق لمجوسى فيه ، يقول الشاعر ما ترجمته بالعربية :

قلبه مجوسى و روحه مجوسية ، ولسانه مجوسى
إنه يحكى قصة المجوس فى اللغة المجوسيـــه ،

بجانب هذه الحقيقة التى ذكرناها آنفاً نجد فى أفكار الدكتور أخطاءاً علمية و ضعفاً فى الإستدلال لا يليق برجل عالم مفكر مثله ، و هو أنه خلط الجنس و الدين فى سرد أسماء الشخصيات و تقديم رأيه فى هذا الموضوع ، فاذا كان يريد من المسلمـــين أن يفتخروا بأجدادهم و أسلافهم على أساس النسب والجنس فكان يجب عليه أن يختار لهم شخصيات لا تكون لها مكانة دينية مرموقة وتاريخ دينى مشهور ، لأن المسلمين أمـــة دينية ذات رسالة خاصة و عقيده خاصة و أنهم لا يستطيعون فى أى حال من الأحـــوال أن ينسبوا نفوسهم إلى شخصيات دعت إلى دين و حملت فلسفة دينية أو حدبت على حركات خاصة واشتهرت بها كما لا يمكنهم أن يعتزوا و يفتخروا بها .

أما إيران التى قدمها سمبورناند مثلا لذلك فانه يوجد فيها نوعان من الشخصيات ، النوع الأول منها ما كانت له شهرة دينية و مكانة دينية مرموقة ، والنوع الثانى ، شخصيات لم تعرف بخدمة دين ولكنها امتازت فى بعض أنواع البطولات و الـــكمال الإنسانى ، إن مسلمى إيران لم يفتخروا و لم يعتزوا برجال عرفوا بدعوة دينية أو فكرة و فلسفة خاصة و لم يرضوا بالإنتماء إليهم أمثال « زردشت » و « مزدك » وغيرهما الذين كانوا دعاة دين و مؤسسى فلسفة ، بل ظل علماء إيران و كتابها ينتقدون

أفكارهم و فلسفاتهم و لايذكرونهم بتقديس و إجـــلال ، و أهل إيران بالعكس من ذلك اعترفوا بمآثر رستم و سهراب ومانى و بهـــزاد و بطولاتهم ، و لم يبخلوا بتقديرهم والثناء عليهم ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، ولكنه يجب أن لانسى أن هـذا الإعتراف والإحترام لم يكونا إلا فى مجال خاص ، ودائرة خاصة نالوا فيها شهرة عالمية فاشتهر مانى و بهـــزاد فى الرسم و التصوير ، و رستم وسهراب بالبطولة والشجاعة، واستحقا تقديراً عاما، واحتراما عاما .

أما رام و كرشنا فانهما يحملان طابعاً دينياً ، و أنهما من مؤسسى ديانة وفلسفة أو من كبار دعاتها ، أما أشوكا فرغم أنه كان ملكا كبيراً ولكنه كان من دعاة البوذية المتحمسين و حامى ديانتها وهو الذى تولى نشر هذه الديانة خارج الهند ، و إليه يرجع الفضل فى توسيع الحكم البوذى إلى بلاد نائية فى آسيا و استمراره عدة قرون .

و هنا نكتة نفسية فاتت الدكتور سمپورنانند ولكن لانستطيع أن نهملها أو نتغافل عنها وهى أنه قامت فى الهند فى عصرنا محاولات ونشرت أحاديث حول إحياء الحضارة البرهمية القديمة وتجديدها وتحريض المسلمين على العودة إلى هذه الحضارة البرهمية القديمـــة و فلسفتها الإجتماعية ، فإقبال المسلمين على هذه الدعوة (و هم فى هذه الظروف الدقيقة) دعوة الإنتساب إلى أسلافهم الجاهليين ، وأجدادهم القدامى العريقين فى القدم (الذين هم رمز هذه الحضـــارة والفلسفـــة و زعماؤها) والمباهاة بهم نذير خطر جديد لكيان

الشعب الإسلامى و الجيل الإسلامى الجديد و شخصيته ومستقبله الدينى فى هذه البلاد ، فكل من يحب أن يرى الجيـــل الجديد متمسكا بالعقيدة الإسلامية بالنواجذ له حق فى أن يشك فى هؤلاء الدعاة أمثال « سمپورنانند » و « كاتجو » ، إن مقارنة شخصيات وراءها فلسفة خاصة و حضارة مستقلة ، ولايزال يحاول زعماؤها إحياء هذه الحضارة بكل قوة وإصرار ، بشخصيات أصبحت أسطورة من أساطير التاريخ ، و رواية من روايات الأدب لاتصح أبداً ، فالذين يريدون من المسلمين أن يؤمنوا بأسلاف الهند القدامى من الآريين ويقدمون رستم و سهراب مثالا على ذلك هم إما مخدوعون يعيشون فى عالم الأحلام، أوعقلاء بعيدو النظر يحاولون أن يغالطوا ضعاف العقول من المسلمين .

وهنا شئ آخر يجدر بالذكر و هو أننا لاندرى لماذا فرض الدكتور سمپورنانند أن ٩٠ فى المائة من مسلمى الهند هم أحفـــاد الآريين وورثتهم ، فانه يعرف تلميذ صغير من تلاميذ مادة التاريخ الهندى ، أن أكثرية المسلمين تتصل بالأمم القديمة التى حكمت الهند قبل بدأ العهد الآرى فاذا كان المطلوب هو ولاؤهم للهند و وفاؤهم للنسب و العرق و الدم فلماذا لايذكر بجانب الآباء الآريين الآباء الآخرون من السلالات القديمة أجـــداد شعوب الهند الجنوبية و الوسطى الذين تنحدر عنهم الكثرة من « المهتدين » و المسلمين المعاصرين .

الحقيقة أن تحديد الحضارة الهندية ، أمم الهند وشعوبها فى

الجنس الآرى و بعض أفراده البارزين (الذين كانوا رمز حضارة خاصة ، وعرفوا بالاضطهاد والاستعباد وتدمير الحضارات السابقة) جفاء بالتاريخ ، و دليل على ضيق النظر ، وترديد للفلسفة النازية المؤمنة بتقديس الجنس الآرى وعداوة كل ما عداه من أجناس و حضارات .

ولابد هنا من الاعتراف بهذه الحقيقة المرة أننا فى حاجة إلى جهاد طويل و كفاح شاق فى الأكثرية لايجاد النظام و الانسجام العاطفى بين فئات الهند المختلفة بدلا من الأقلية. فالواضح لكل ذى عينين أن مسئولية هذا الفتور والخلل فى الانسجام و الوئام بين هاتين الفئتين تقع على موقف الأكثرية و أسلوب تفكيرها ، وتقاليدها الاجتماعية واستكبارها و تمسكها باللمس المنبوذ . وإنها فى حاجة إلى أن تعلم إحترام الانسانية و قيمة حياة الانسان وإيثارها على حياة الحيوانات والأشجار ، والايمان بطهارته فطرياً وشرفه ، وقد أبانت حوادث « عليكره » و« جبلپور » أن عقلية الأكثرية فى حاجة إلى تغير كبير و تطور جديد و أنه من سوء الحظ أن الذين ينهضون لخدمة البلاد هم ينصرفون إلى بذل النصحية للأقلية و توجيهها بدل أن يجاهدوا فى سبيل تغيير عقلية الأكثرية و يتعرضوا لسخطها و ملامها و الانسان مفطور على حب السهل و إيثار أهون الأمرين .

إن تربية الشعب الفكرية وبناء الهند من جديد ، وإنشاء الانسجام بين عناصرها و فئاتها على قدم من المساواة و الأمانة

مهمة عسيرة و مسؤلية ضخمة تحتاج إلى التفانى و إنكار الذات والتضحية وشيئ كبير من المغامرة ، ونعجب إذا لانجد فى هذه البلاد الواسعة من يتفقد الأكثرية فى شجاعة و صراحة و يقول لها كلمة حق غير مبال بخطر ، و يحاسبها حساباً صحيحاً ، بدقة و أمانة و جرأة و شجاعة ، إن هذا خطر على البلاد و فراغ كبير لايملؤه شئ .

إن المسلمين مصممون على خدمة الهند المعاصرة وانهاضها وسوف يقومون بهذا الواجب بانسجام عاطفى مع المواطنين يسمح به دينهم وعقيدتهم ، و يرفعون مكانتها ، ولا حاجة البتة إلى الدعوة إلى الافتخار بعرق قديم والانتساب إليه والاعتزازبه والرجوع إلى أغوار الماضى السحيق و الحضارات التى فقدت صلاحيتها للبقاء و جدارتها للحياة ، و إنه عبث و فضول ، و إضاعة وقت و جهود ، و جهاد فى غير جهاد .

فكرة التوجيه المسلكى فى القرن الثامن للهجرة

للأستاذ محمد المبارك

عميد كلية الشريعة السورية ، بدمشق ،

إن تعقد الحضارة فى هذا العصر الحديث وتوزع الأعمال بين البشر و حاجتها إلى نوع خاص من المواهب والدربة والمران دفع الناس إلى السعى للتوفيق بين هذه الأعمال المتنوعة و ملكاتهم و دفعت رجال التربية للتفتيش على اساليب هذا التوفيق حتى يحصل المجتمع على أكبر قدر ممكن من الإنتاج ... و من هنا نشأت فكرة التوجيه المسلكى ، فكانت هذه الفكرة نتاج نوع خاص من الحضارة و وليدة مرحلة متميزة من مراحلها .

و قديبدو غريباً أن نجد هذه الفكرة عند مؤلف عربى من القرن الثامن للهجرة ، هو أبو إسحاق الشاطبى المتوفى ٧٩٠ هـ و سنذكر بواعث نشأتها .

إن فى تاريخ الحضارة الإسلامية نظرات كثيرة فى التربية إشتهر بعضها و لم يشتهر بعضها الآخر ، و كان بعضها سطحياً و بعضها الآخر عميقاً يتبادل مباحث خاصة من التربية ، و إذا

إسم الغزالى وبن خلدن معروفا فان إسم كثيرين لايزال مغموراً مجهولا ، و كما أن بعض النظريات وردت فى خلال مباحث أخرى ، و مكتبتنا العربية فى حاجة إلى جمع شتات هذه النظريات برباط تاريخى صحيح ، والبحث عن صلة هذه النظريات بأصول الحضارة التى نشأت فيها و أوضاع المجتمع الذى تولدت عنه .

إن من الضرورى أن نرد هذه الفكرة إلى أصولها فنعرف نشأتها ، والحضارة التى تتصل بها ..... أهى الحضارة الإسلامية أم الحضارة اليونانية أم الفارسية .

إن المؤلف نفسه يدلنا على الفكرة الباعثة له إلى الوصول إلى نظريته هذه بوضوح إذ يقدم بين يديها كلمة يشرح فيها فكرة معروفة الأصل والمنشأ ، وهى فكرة واجب الكفاية ، التى عرضت فى تاريخ الفكر الإسلامى منذ فجره و التى تتلخص أن كل عمل يحتاج إليه المجموع يكون القيام به واجباً على هذا المجموع ، فالتجارة والحدادة والطباعة مثلا .... من واجبات الكفاية التى تقع تبعة المتخلف عن القيام بها على المجموع ويتوجب القيام بها على المعتذر الكافى لها .

وترجع هذه الفكرة إلى مفهوم الإسلام الإجتماعى للحياة البشرية ، وتشبيه المجتمع الإسلامى (بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) .. فى الحديث المشهور - (بالجسم الواحد) فى تعاون أعضائه فى حديث آخر ... ما يشير إلى هذا المفهوم إشارة واضحة .. حتى إن كل عمل من الأعمال الإجتماعية النافعة ....

أعتبر نوعاً من العبادة يؤجر صاحبها عليها إذا قصد بها النفع الإجتماعى .... و قد كان لهذه النظرة شأن كبير فى التفكير الإسلامى فى شتى ميادين العمل ، فالإمارة مثلا فى ميدانها السياسى بالنسبة إلى من يقوم بها واجب كفاية تقع على صاحبها تبعته و ليست حقاً يمتاز به ، وبذلك تصبح الحياة الإجتماعية واجبات متبادلة لا إمتيازات متنازعاً عليها ، و قد انتهت هذه إلى فكرة مستقرة واضحة هى فكرة الواجب الكفائى أو واجب الكفاية .

هذه الفكرة هى التى دفعت الشاطبى إلى محاولة التوفيق بين الواجب الإجتماعى والإستعداد الفردى إذ كيف يتم إنتفاء كل فرد من الأفراد لكل واجب من هذه الواجبات ، ومن ذا الذى يحدد هذه الأهلية و يقرر هذا الوجوب بالنسبة إلى كل عمل معين و إلى كل فرد ، و ينتهى من ذلك أن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة ، فهم (الناس) مطلوبون بسدها على الجملة فبعضهم قادر عليها مباشرة و ذلك من كان أهلا لها والباقون إن لم يقدروا عليها ، قادرون على إقامة القادر عليها ، ويبين حينئذ طريقة الوصول إلى هذا الهدف فى نظريته التوجيهية هذه .... و إلى القارئ ما قاله الشاطبى فى الموضوع نفسه :

إن الله خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية ، تارة بالإلهام كما يلهم الطفل التقام الثدى ، و مصه وتارة بالتعليم فطالب الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يستجلب به المصالح و كافة ما

تدرأ به المفاسد ، إنهاضاً لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية والمطالب الإلهامية ، و فى العناية بذلك ، يقوى فى كل واحد من الخلق ما فطر عليه وما ألهم له من تفاصيل الأحوال والأعمال ، فيظهر فيه و عليه و يبرز به على أقرانه ممن لم يهيأ تلك التهيئة ، فلا يأتى زمان التعقل إلا وقد نجم على ظاهر ما فطر عليه فى أوليته ، فترى واحداً قد تهيأ لطلب العلم وآخر لطلب الرياسة وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها وآخر للصراع و النطاح .... هذا و إن كل واحد قد غرز فيه التصرف الكلى ، فلابد فى غالب العادة من غلبة البعض عليه فيرد التكليف عليه مؤدباً معلماً فى حالته التى هو عليها ، فعند ذلك ينتهض الطلب على كل مكلف فى نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه . ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات فيراعوا منهم بحسبها و يراعونها إلى أن تخرج فى أيديهم على الصراط المستقيم ويعينونهم على القيام بها و يحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط ثم يخلى بينهم وبين أهلها ، فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف النظرية و لدرجات الضرورية فعند ذلك يحصل الإنتفاع و تظهر نتيجة تلك التربية .

ثم يضرب الشاطبى أمثلة لذلك فيقول :

« فاذا فرض مثلا واحد من الصبيان ظهر عليه حسن إدراك وجودة فهم و وفور حفظ لما يسمع ، و إن كان مشاركا

فى غير ذلك من الأوصاف ... ميل به نحو ذلك القصد و هذا واجب على الناظر فيه من حيث الجملة مراعاة لما يرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم فطلب بالتعلم و أدب بالآداب المشتركة بجميع العلوم ، ولابد أن يحال به إلى بعض فيؤخذ به ويعان عليه فاذا دخل فى ذلك البعض فمال به طبعه عليه على الغوص وأحبه أكثر من غيره ترك وما أحب و خص بأهله فوجب عليهم إنهاضه فيه حتى يأخذ منه ما قدر له من غير إهمال له و لاترك لمراعاته ، ثم إن وقف هناك فحسن و إن طلب الأخذ فى غيره فعل معه فيه ما فعل فيما قبله ، و هكذا إلى أن ينتهى .... و هكذا الترتيب فيمن ظهر عليه وصف الإقدام و الشجاعة و تدبير ينال به نحو ذلك ويعلم آدابه المشتركة ثم يصاربه إلى ماهو الأولى ... فالأولى من صنائع التدبير كالعرافة أو الشعابة أو الجندية أو الهداية أو الامامة أو غير ذلك مما يليق به وما يظهر له فيه نجابة ونهوض »

و هنا يصل الشاطبى إلى حل المشكلة الاجتماعية النفسية و الحاجات الإجتماعية بطريق التربية فيقول :

« ... وبذلك يتربى لكل فعل كفاية قوم لأنه سير أولا فى طريق مشترك ، فحيث وقف السائر و عجز عن السير فقد يحتاج إليها فى الجملة ، و إن كانت به قوة زاد فى السير حتى يصل إلى أقصى الغايات فى الفروضات الكفائية و فى التى يندر من يصل إليها كالإجتهاد فى الشريعة والامارة » (الموافقات) .

لقد جمع الشاطبى فى نظرته هذه بين الأحكام المنطقى فى

التفكير والإعتبارات الواقعية و العملية ... و إذا وازنا بينه بين أقرانه ممن كتبوا فى التربية من أسلافها وجدنا أن الغزالى غلبت عليه النظرة الأخلاقية و ابن خلدون النظرة التربوية ، و التعليمية ، أما الشاطبى فنظرته إجتماعية نفسية فهى بذلك أوسع هذه النظرات و هى جهة أخرى متصلة فى جذورها بصميم التفكير الإسلامى و متولدة عنه كما بينا فى أول المقال ، و هى تربية من أحدث النظرات التربوية والإجتماعية ، وبذلك تدل على ما وصل التفكير فى الحضارة العربية فى عمقه واتساعه .

الرائد

جريدة عربية تصدر كل أسبوعين
تعنى بنشر أخبار النشاط الدينى و الثقافى
للمسلمين فى شبه القارة الهندية
يصدرها
النادى العربى بدارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤالهند

إشتراكاتها
فى الهند ٣-٠
فى باكستان ٣-٠
فى الخارج ٥-٠

و فى أنفسكم أفلا تبصرون

للشيخ حارون العسل
دمشق

لما اقتضى كمال الرب تعالى جل جلاله و قدرته التامة و علمه المحيط و مشيئته النافذة و حكمته البالغة تنويع خلقه من المواد المتباينة والصور المختلفة والتباين العظيم بينهم فى المواد والصور والصفات والهيئات و الأشكال والطبائع والقوى إقتضت حكمته أن يأخذ من الأرض قبضة من التراب ثم ألقى عليها الماء فصارت مثل الحمأ المسنون ثم أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت كالفخار ثم قدر لها الأعضاء و المنافذ و الأوصال و الرباطات و صورها فأبدع فى تصويرها و أظهرها فى أحسن الأشكال و فصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها و هيأ كل جزء منها لما يراد منه و قدره لما خلق له على أبلغ الوجوه ففصلها فى تفصيلها و أبدع فى تصويرها و تشكيلها والملائكة تراها و لا تعرف ما يراد منها و ابليس يطوف بها و يقول لأمر ما خلقت ، فلما تكامل تصويرها

و تشكيلها و تقدير أعضائها و أوصالها و صارت جسداً مشكلا كانه ينطق إلا أنه لا روح فيه و لا حياة أرسل إليه روحه فنفخ فيه نفخة وانقلب ذلك الطين لحماً و دما و عظاما و عروقا و سمعاً و بصراً و شماً و لماً و حركة و كلاما ، فأول شئ بدأ به أن قال الحمد لله رب العالمين فتمثل له ربه وخالقه و بارؤه و مصوره يرحمك الله يا آدم فاستوى جالساً أجمل شئ و أحسنه منظراً و اتمه خلقاً وأبدعه صورة فقال الرب تعالى لجميع الملائكة ، أسجدوا لآدم ، فبادروا بالسجود تعظيماً و طاعة لأمر الواحد المعبود ثم قال لهم ، لنا فى هذه القبضة من التراب شرع أبدع مما ترون و جمال باطن أحسن مما تبصرون فلنزين باطنه أحسن من زينة ظاهرة ولنجعله من أعظم آياتنا تعلمه أسماء كل شئ مما لا تحسنه الملائكة فكان التعليم زينة الباطن و جماله و ذلك التصوير زينة الظاهر فى أكمل شئ و أجمله صورة ومعنى كل ذلك صنعته تبارك و تعالى فى قبضة من تراب ثم اشتق منه صورة هى مثله فى الحسن و الجمال ليسكن إليها وتقر نفسه و ليخرج من بينها من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواء ، ثم لما أراد الله سبحانه و تعالى أن يذرأ نسلها فى الأرض و يكثره وضع فيها حرارة الشهوة و نار الشوق والطلب و ألهم كلا منهما إجتماعه بصاحبه، فاجتمعا على أمر قد قدر فاسمع الآن يا بنى من عجائب ما هناك : لما شاء الرب تعالى أن يخرج نسخة هذا الإنسان منه أودع جسده حرارة وسلط عليه هيجانها فصارت شهوة غالبة فإذا هاجت حرارة الجسد

تحللت الرطوبات من جميع أجزاء الجسد وابتدأت نازلة من خلف الدماغ من عروق خلف الأذنين إلى قفا الظهر ثم تخرج إلى الكليتين ثم تجتمع فى أوعية المنى بعد أن طبخها نار الشهوة و عقدتها حتى صار لها قوام و غلظ و قصرتها حتى ابيضت وقدر لها مجارى و طرقا تنفذ فيها ثم اقتضت حكمته سبحانه أن قدر لخروجها أقوى الأسباب المفرغة لها من خارج و من داخل فيقيض لها صورة حسنها فى عين الناظر وشوقه إليها وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة و المحبة فحن كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه و اختلاطه به ليقضى الله أمراً كان مفعولا و جعل هذا محل الحرث و هذا محل البذر ليلتقى الماءآن على أمر قد قدر و قدر بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة فى تلك الرطوبة و الفضلة عملها واستخرجها من تحت الشعر و البشرة و الظفر لتوافق نسخة الأصل و يكون الداعى إلى التناسل فى غاية القوة فلا ينقطع النسل و لهذا لانجد فى سن الاحتلام من القوة ما فى من الجماع وإنما هو من فضلة حرارة تذيب الرطوبة فتنفذ فيها الطبيعة إلى خارج من نوع تصوير خيال بواسطة الشيطان كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الرؤيا الصالحة من الله و الحلم من الشيطان » فان قيل هذا إختيار منكم لقول من قال أن المنى يخرج من جميع أجزاء البدن هذا وإن قاله كثير من الناس فقد خالفهم آخرون و زعموا أن فضلة تتولد من الطعام وهى من أعدل الفضلات ولهذا صلحت أن تكون مبدأ الانسان وهو جسم متشابه الأجزاء

فى نفسه قيل القول الأول هو الصواب و يدل عليه وجوه منها عموم اللذة بجميع أجزاء البدن و منها مشاكلة أعضاء المولود لأعضاء الوالدين و منها أن المشابهة الكلية تدل على أن البدن كله أرسل المنى ولولا ذلك لكانت المشابهة بحسب محل واحد مما يدل على أن كل عضو قد أرسل قسطه و نصيبه فلما انعقد وصاب ظهرت محاكاته و مشابهته له ، و منها أن الأمر لو كان كما زعمه أصحاب المقالة الثانية من أن المنى جسم واحد متشابه فى نفسه لم تتولد منه الأعضاء المختلفة المتشكلة بالأشكال المختلفة لأن القوة الواحدة لاتفصل فى المادة الواحدة إلا فعلا واحداً فدل على أن المادة فى نفسها ليست متشابهة الأجزاء . ومنها أن المنى فضلة لهضم الآخر وذلك أنما يكون عند نضج الدم فى العروق و كونه مستعداً استعداداً تاما لأن يصير من جوهر الأعضاء وكذلك يحصل عقيب استفراغه من الضعف أكثر مما يحصل من إستفراغ أمثاله الدم و لذلك يورث الضعف فى جوهر الأعضاء الأصلية فدل على أنه مركب من أجزاء كل منهما قريب الاستعداد لأن يصير جزءاً من عضو و لذلك سماه الله سلالة مأخوذ من السل و هو ما يسل من البدن كالبخار كما سمى أصله سلالة من طين لأنه إستلها من جميع الأرض كما جاء فى جامع الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض » قال أصحاب القول الآخر وهم جمهور الأطباء و غيرهم لو كان الأمر كما زعمتم و أن المنى يستل من جميع الأعضاء لكان إذا حصل

منى الذكر و منى الأنثى فى الرحم تشكل المولود لشكلها معاً و لكان الرجل لايولد إلا ذكراً دائماً لأن المنى قد استقل عندكم من جميع أجزائه فاذا انعقد و جب أن يكون مثله و أيضاً فان المرأة تضع من وطئ الرجل فى البطن الواحد ذكراً و أنثى و لا يمكن أن يقال بأن ذلك بسبب إختلاف أجزاء المنى قالوا لا نسلم فى عموم اللذة لأنها إنما حصلت حال الاندفاق بسبب سيلان تلك المادة الحارة جارية على تلك المجارى اللحمية التى لحمتها رخوة شبيهة باللحم قريب العهد بالاندمال إذا سال عليه شئ و هو معتدل السخونة ولو كانت اللذة إنما حصلت بسبب سيلان تلك المادة لحصلت قبل الإندفاق ، قالوا ، وأما إحتجاجكم بالتشابه المذكور بين الوالد والمولود فالمشابهة قد تقع فى الظفر والشعر و ليس يخرج منهما شئ و أيضاً فالمولود قد يشبه جداً من أجداده كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أن رجلا سأله فقال إن امرأتى ولدت غلاما أسود قال هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال سوداء قال هل فيها من أورق قال نعم قال فأنى له ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق قال و هذا عسى أن يكون نزعه عرقه ، قالوا ولو كان فى المنى من كل عضو إجزاء فلا تخلو تلك الأجزاء إما أن تكون موضوعة فى المنى و ضعها الواجب أو لا تكون كذلك فان كانت موضوعة وضعها الواجب كان المنى حيواناً صغيراً و إن لم تكن كذلك إستحالت المشابهة ، قالوا و كذلك فان المنى إما أن يكون مركباً على تركيب هذه الأعضاء و ترتيبها

و لا يكون كذلك فالأول باطل قطعاً لأن المنى رطوبة سيالة فلا تحفظ الوضع و الترتيب و إن كانت ثقيلة فتعين الثانى و لابد قطعاً أن يحال ذلك الترتيب و التصوير و التشكيل على سبب آخر سوى القوة التى فى المادة فانها قوة لاشعور لها ولا إدراك ولا تهتدى لهذه التفاصيل التى فى الصورة الإنسانية لأن هذا التصوير والتشكيل مستند إلى خالق عليم حكيم قد بهرت حكمته العقول و دلت آثار صنعته على كمال أسمائه وصفاته و توحيده وقد اعترف بذلك أفاضل الأطباء وهما بقراط وأفلاطون و أقرا بأن ذلك مستند إلى حكمة الصانع وعنايته و إنه لم يصدر إلا عن حكيم عليم قدير ذكره جالينوس عنهما فى كتاب رأى بقراط وأفلاطون فأبى جهلة الأطباء وزنادقة المتفلسفة و الطبائعيين إلا كفوراً

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم من حديث حذيفة بن أسيد أن الله وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فما الرزق فما الأجل فما العمل فيقضى الله ما يشاء ويكتب الملك وفى لفظ يقول الملك الذى يخلقها أى يصورها باذن الله أى يصور خلقه فى الأرحام كيف شاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فقال أصحاب القول الأول نحن أحق بالتنزيه والتوحيد ومعرفة حكمة الخالق العليم و قدرته و علمه و أسعد به منكم وأحال سفهاؤنا و زنادقتنا هذا التخليق على القوة المصورة والأسباب الطبيعية ولم يسندوها إلى فاعل مختار عالم بكل شئ قادر على كل شئ لا يكون شئ إلا باذنه ومشيئته والقوة والطبيعة خلق مسخر

من خلقه و عبد من جملة عبيده ليس لها تصرف و لاحركة ولافعل إلا باذن باريها و خالقها فذلك الذى جهل نفسه و ربه وعادى الطبيعة والشريعة والرب تعالى يخلق ما يشاء ويختار ويصور خلقه فى الأرحام كيف يشاء و بأسباب قدرها و حكم دبرها و إذا شاء أن يسلب تلك الأسباب قواها سلبها و إذا شاء أن يقطع مسبباتها عنها قطعها وإذا شاء أن يهيئ لها أسباباً أخرى تقاومها وتعارضها فعل فانه الفعال لما يريد .

وليس فى كون المنى مستلا من جميع أجزاء البدن ما يخرج الحوالة على قدرته ومشيئته و حكمته بل ذاك أبلغ فى الحكمة والقدرة و أما قولهم لو كان المنى مستلا من جميع الأعضاء لكان الولد يتشكل بشكلها معاً فقد أجاب النبى صلى الله عليه وسلم عمن سأله عن ذلك بما شفى و كفى ففى صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة و هو فى أرضه يخترف فأتاه و قال إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، ما أول أشراط الساعة و ما أول طعام يأكله أهل الجنة و من أى شئ ينزع الولد إلى أبيه و من أى شئ ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أخبرنى بهن آنفاً جبريل فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة . أما أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب و أما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل إذا غشى المرأة فسبق ماؤه كان الشبه له فقال أشهد

أنك رسول الله فهذا جواب جبريل أمين رب العالمين لاجبريل الطيب ، وفى صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر باذن الله و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنث باذن الله ، و قد يتفق الماءآن فى الانزال والقدر وذلك من أندر الأشياء فيخلق للولد ذكر كذكر الرجل و فرج كفرج المرأة فاذا شاء الله أن يغلب سلالة ماء الرجل على ماء المرأة أو سلالتها أمر ملك الأرحام بتصويره كذلك فان ذلك لا يخل بحكمته ولايخرق عادته و لوخرقتها لم يخل بحكمه أحكم الحاكمين .

و أما منعهم عموم اللذة فشبيه بالمكابرة ، والمجامع يجد عند الانزال شيئاً قد استل من جميع بدنه و سمعه و بصره و قواه فى قالب الرحم فيحس كأنه خلع قميصاً كان مشتملا به ولهذا اقتضت حكمة الرب تعالى فى شرعه و قدره أن أمره بالاغتسال عقيب ذلك ليخلف عليه الماء ماتحلل من بدنه من ماء ، وإذا اغتسل وجد نشاطاً وقوة و كأنه لم ينقص منه شئ فان رطوبة الماء تخلف على البدن ما حللته تلك الحركة من رطوباته وتعمل فيها الحرارة الأصلية عملها فتمدها القوى التى ضعفت بالانزال وأما التشابه الواقع بين الظفر والشعر فى الوالد و المولود و لم ينفصل بينهما شئ فما أردها من شبهه فان الظفر و الشعر تابعان للأعضاء والمزاج الذى وقع فيه التشابه فاستتبع تشابه الأصل تشابه التبع ،

و أما شبه المولود بالجد البعيد من أجداده فهو من أقوى الأدلة لنا فى المسئلة لأن ذلك الشبه البعيد لم يزل ينتقل فى الأصلاب حتى

استقر فى صورة الوالد و بها حصل التشبه ، و أما قولهم إن تلك الأجزاء لا تخلو إما أن تكون موضوعة فى المنى وضعها الواجب أولا إلى آخره ، فالجواب أنهم إن عنوا أنها موضوعة بالفعل فليس كذلك ، و إن أرادوا أنها موضوعة بالقوة فنعم ، و ما المانع منه ، ، و يكون المنى حيواناً صغيراً بل كبيراً بالقوة و بهذا ظهر الجواب عن القول بأن المنى رطوبة سيالة لاتحفظ الوضع والترتيب و غاية ما يقدر أن ذلك جزء من أجزاء السبب لايستقل بالحكم ، فالمستقل بالإيجاب مشيئة الله وحده و الأسباب بحال الظهور .

أثر السنة فى التشريع الاسلامى

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
مستشار وزارة الأوقاف للشئون الدينية

تلقينا هذا المقال من فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف موسى بعد أن طال به العهد فنشره راجين أن يتحفنا دوماً ، البعث ، دائماً بأبحاثه و دراساته القيمة .
التحرير

يقوم الإسلام على دعامتين قويتين و أصلين مقدسين ، و هما كتاب الله المحكم و سنة رسوله الصحيحة ، و بين هذين الأصلين إرتباط طبيعى قوى نراه ماثلا فى كل ما أتى به من تشريع ، وفى كل ما دعا إليه من أخلاق ومبادئ تقوم عليها الحياة ، ومثل عليا تسعد بها الانسانية .

و لذلك ، نجد الرسول صلى الله عليه و سلم يقول : لقد أوتيت القرآن ومثله معه . و يريد بهذا سنته الشريفة التى تتمثل فى

أقواله و أفعاله ، والتى علينا اتباعها والعمل بها .

و لذلك أيضاً نجد الله جل ذكره يقول فى كتابه الكريم : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » و يقول « فلا و ربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً » و يقول : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

و واضح أن معنى طلب الله تعالى أن نرد ما اختلفنا فيه إليه ، هو الرد إلى كتابه العظيم ، و أن معنى الرجوع إلى الرسول ، هو الرجوع إلى سنته بعد أن لحق بالرفيق الأعلى .

و السبب فى ارتباط القرآن بالسنة فى التشريع ، الذى نقتصر فى حديثنا هذا عليه ، هو أن كتاب الله لم يتناول فى كثير من الأحوال الأحكام والمبادئ التشريعية ، من عبادات و معاملات و غيرهما ، إلا بالإجمال وعلى نحو كلى ، فكان لابد من بيان و تفصيل لما جاء به .

وإذا يكون لابد من الاستماع لسنة الرسول و إطاعتها و النزول على أحكامها ، باعتبار أنها بيان للقرآن و تفسير له ، ولا عجب فاطاعة الرسول ليست إلا إطاعة لله جل وعلا ، وفى هذا يقول « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » .

و قد يكون لنا أن نقرر بايجاز أن دور الرسول صلى الله عليه وسلم كان دور الشارح للمتن الذى هو القرآن ، إلا أنه شارح

ملهم و مفسر معصوم فيما يتصل بالقرآن و الدين و أصوله ، فهو يعمل تحت رعاية الله دائماً ، و هو لاينطق عن الهوى .

و بعد هذا الإجمال الذى تبينا به أن بين الكتاب والسنة رابطة لانفصام لها ، إذ هما الأصلان المقدسان للإسلام ، نذكر بعض المثل التى تبين هذه الرابطة التى لابد منها ، و سنقتصر هنا فحسب على الناحية التشريعية .

ا ـ أمر الله بالصلاة و شرعها فرضاً علينا ، و جاء ذلك فى القرآن فى آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله : « أقيموا الصلاة » و أشار فى بعض الآيات إلى أوقاتها فى اليوم و الليلة ، إلا أن الكتاب لم يبين لنا عدد ركعات كل صلاة ولاكيفية الصلاة نفسها ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم و بين لنا ذلك كله بقوله حيناً و بفعله حيناً آخر ، وهذا حين صلى و قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، و لذلك عنى كثير من الصحابة رضوان الله عليهم . بأن نقلوا إلينا كيف كانت صلاة الرسول على نحو تام كامل .

ب ـ و كذلك الأمر فى الصوم ، فقد فرض الله علينا صوم شهر رمضان و جاء هذا فى بضع آيات من القرآن ، إلا أن السنة هى التى بينت لنا فى وضوح تام أن الصوم يكون منى الفجر إلى غروب الشمس ، وأن علينا أن نبدأ بالصوم متى رأينا هلال رمضان ، و أن نفطر متى رأينا هلال شوال ، كما بينت حكم من يفطر عامداً أو ناسياً وغير ذلك من أحكام الصيام .

ج - و كذلك الأمر فى الزكاة ، فقد أمر بها القرآن فى كثير من الآيات ، بلفظ الزكاة تارة و لفظ الصدقة تارة أخرى ، لكن السنة النبويه هى التى بينت لنا الأموال التى تجب الزكاة فيها ، و مقدار الواجب فى كل نوع منها و متى تجب ، وهكذا إلى آخر ما يتعلق بتحديد هذه الفريضة تحديداً كافياً .

د - و فى الحج ذكر القرآن أنه فرض علينا بقوله تعالى : « و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، كما أشار إلى بعض أفعال الحج و شعائره ، و من ذلك الإحرام والطواف بالكعبة والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفات .

ثم جاءت السنة فبينت لنا كيفية الإحرام ومواقيته، ومتى يكون واجباً ، و عدد مرات السعى بين الصفا و المروة ، و كيفيته ، و مقدار الزمن الذى يجب الوقوف فيه بعرفة إلى غير ذلك كله مما يتعلق بالحج حتى صار معروفا لنا تماما كما فعله الرسول ونقله عنه كثير من الصحابة رضى الله عنهم و أرضاهم .

و إذا تركنا العبادات إلى المعاملات التى تجرى بين الناس فى هذه الحياة نجد الأمر يجرى على ذلك النحو أيضاً ، نعنى من ارتباط السنة بالقرآن و لزومها بجانبه ، و إنها حجة معه و أصل من أصول التشريع لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فقد بينت لنا كثيراً من ضروب هذه المعاملات التى جاء فى القرآن بإجمال أو التى أشار إليها إشارات لاتغنى من البيان والتصفيل ، بل إن السنة النبوية جاءت بأحكام تشريعية هامة لم تذكر مطلقاً

فى القرآن، ولنذكر بعض المثل التى تبين هذا الضرب وذلك .

ا - أحل الله البيع و حرم الربا كما فى القرآن ، وأشار فى بعض آياته إلى وجوب إبتناء عقد البيع كسائر العقود الأخرى على الرضا من الطرفين ، وذلك إذ يقول فى الآية التاسعة والعشرين من سورة النساء . « يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

إلا أن البيع له بعد ذلك أركان وشروط يجب توفرها ليكون العقد صحيحاً ، و إلا كان باطلا أو فاسداً ، وهذه الشروط بعضها يتعلق بموضوع العقد نفسه أى الشئ المبيع ، وبعضها يتعلق بكل من المتعاقدين ، و بعضها يتعلق بالثمن . وهذا كله ما لانجد له بيانا فى القرآن ولكن نجد هذا البيان فى سنة الرسول .

ففيها إشتراط الرضا فى عقد البيع صراحة ، وذلك إذ يقول صلى الله عليه و سلم ، « إنما البيع عن تراض » ، و وجوب أن يكون المبيع مملوكا للبائع ، و إذاً فلا يصح للانسان أن يبيع ما لايملك ثم يذهب لشراء ما باع ويسلمه لمن باعه له . و فى هذا أخرج أبوداؤد فى سننه عن حكيم بن حزام ، قال « يارسول الله ! يأتينى الرجل فيريد البيع ليس عندى ، أفأبتاعه له من السوق ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لا بيع ما ليس عندك » .

وفيها أنه يشترط مع هذا أن يكون المبيع موجوداً حين العقد تحت يد البائع ، و ذلك ليكون من المؤكد أنه قادر حينئذ على تسليمه للمشترى . و فى هذا يروى ابن عباس عن الرسول عليه

الصلاة والسلام أنه قال : « من ابتاع طعاما فلا يبيعه حتى يقبضه » ثم يقول ابن عباس بعد أن روى هذا الحديث : « و أحسب كل شئ بمنزلة هذا الطعام . » .

ب - و فى الربا خاصة ، نجد الله تعالى يحرمه فى القرآن قليله وكثيره ، ويتوعد على من يقترف شيئاً منه بالعذاب الغليظ ، وينذر الذين يتركون ما كانوا عليه من الربا فى الجاهلية بحربه و حرب رسوله ، ولكن ما هو الربا ؟ وفى أى الأنواع من الاموال يحرم الربا ؟ وما هو الفرق بين ربا الفضل أو الزيادة و بين ربا النسيئه أو الأجل فى الحكم والحل والحرمة ؟ وكل ذلك لانجده فى القرآن ، ولكن نجده فى سنة الرسول على ما هو معروف .

ج - ونذكر بعد ذلك، مثلا آخر يرينا أن السنة النبوية جاءت بتشريعات مبتدأة مفصلة لانجدها فى القرآن ، ونكتفى بأن نشير منها إلى شريعة الخيارات فى العقود و إلى شرعية الشفعة للشريك أو الجار .

فمن الخيارات « خيار المجلس » و قد شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكد من رضى كل من المتعاقدين ، لأن البيع والشراء مثلا فى الشريعة الإسلامية ليس إنتهاز فرصة من ناحية البائع أو المشترى ، ولذلك لابد من وجود الرضا الحقيقى من كل منهما ولهذا نجد خاتم الأنبياء والمرسلين يقول : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » أى من مجلس العقد ، وفى حديث آخر ، رواه الإمام البيهقى فى « السنن الكبرى » يقول صلى الله عليه و سلم

« أيما رجل إبتاع من رجل بيعة ، فان كل واحد منهما بالخيار حتى يتفرقا من مكانهما إلا أن يكون صفقة خيار ، ولايحل لأحد أن يفارق صاحبه مخافة أى يقيله ، أى مخافة أن يطلب نسخ عقد البيع .

و من الخيارات « خيار الشرط » و قد شرعه الرسول إذ قال لرجل من الأنصار - و هو حبان بن منقذ ، أو أبوه على ما جاء ببعض الروايات ، و كان يغبن فى البيع ، : إذا بايعت فقل لاخلابة (أى لاخديعة) ثم أنت بالخيار فى كل سلعة إبتعتها ثلاث ليال ، فان رضيت فامسك ، وإن سخطت فاردد » .

ومن هذه الخيارات أيضاً ، خيار الرؤية الذى شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لمن اشترى شيئاً لم يسبق له أن رآه ، و ذلك أن يقول على ما رواه الإمام البيهقى فى كتابه الآنف الذكر ، « من اشترى شيئاً لم يره فهو بالخيار إذا رآه ، إن شاء أخذه ، و إن شاء تركه » .

أما الشفعة فهى نظام يقوم على رفع الضرر عن الشريك أو الجار ، بأن يحق له أن يتملك بسببه ما باعه شريكه أو جاره لأجنبى ، و قد شرعه الرسول عليه الصلاة و السلام بأحاديثه التى تثبت هذا الحق للشريك ثم للجار عند عدم وجود الشريك ، و هى أحاديث معروفة لانرى خيراً فى الإطالة بايرادها بنصوصها .

يتبع

* * *

النزعة الدينية فى حياة « مومن » وشعره

بقلم

السيد احتشام الندوى

« مومن » أحد فحول الشعراء باللغة الأردية. لم يعرفه الناس فى حياته حق المعرفة حتى جاء العصر الحديث وهنالك تجلى للناس مكانته المرموقة وكعبه العالى فى الشعر الأردى ، ولاشك فى أن هذا الشاعر قدسلك فى شعره مسلكا جديداً لم يكن الناس يسلكونه حينذاك كما كانت حياته أيضاً غير التى كان الناس يألفونها فى تلك الأيام ، وهو يمتاز بين معاصريه من الشعراء من نواح شتى .

ولابد لنا قبل أن نبدأ فى دراسة حياته و شعره أن نعرف تلك الدوافع والعوامل التى أثرت فى تكوين عقلية الشاعر ونعلم الأسباب التى جعلته ممتازاً بين الشعراء كلهم ، فمن المعلوم الواضح أن الشاعر يكون مرهف الحس دائماً بما يجرى حوله من حوادث الزمان وكوارثه ، و أنه يفكر فيما يرى فى بيئته ومجتمعه و يقع كل ذلك منه أحسن موقع ، كما أنه يتأثر طبعاً من بيئته التى ربى فيها .

إذا أنعمنا النظر فى الظروف السياسية التى عاش فيها شاعرنا « مومن » رأيا أن حكومة المغول كانت فى ضعف و اضمحلال

و أن شمس رقيها مالت إلى المغيب حتى أصبحت لاتقدر على شئ وكانت الحكومة الانجليزية قائمة فى شرق الهند والانجليز كانوا يتقدمون إلى شمال الهند وغربها خطوة بعد خطوة بمكرهم و دهائهم ، وكانت المملكة المغولية منقسمة بين الانجليز والسيخ و المرهتة و الروهيلة ، هذه هى الظروف السياسية فى العصر الذى عاش فيه مؤمن ، أما الأوضاع الاقتصادية فى هذا العصر فكانت فى أسوء ما يمكن ، فكانت ملوك الطوائف أكبرهمهم جلب المنافع الشخصية ، وكان نظام الاقطاع سائداً فى الهند ، والشعب فى بؤس وشقاء وخيبة وحرمان ، وإن القوى كان يظلم الضعيف ، وظهر اللصوص وقطاع الطرق فى المدن والقرى حتى أصبحت الحياة غير مأمونة ، فكانت نتيجة ذلك أن سياسة المغول قداخفقت و لم تستطع التغلب على الموقف ، وطمع الانجليز فى هذه الغنيمة الباردة ، ومن الأسف أن أهل الهند كانوا راغبين عما كان يجرى حول حياتهم و زاهدين فيما يواجههم من تطورات ومشكلات ، وأخطار .

فى هذه الظروف الحرجة والأوضاع الطارئة ولد مومن فى أسرة نبيلة من أسر دهلى عاصمة الهند ، و درس على الشاه عبد القادر نجل العالم الشهير الشيخ ولى الله الدهلوى وأخذ علم الطب من ابنه « غلام نبى » و لم يلبث أن حذق فى هذا العلم وأصبح من النابغين فى الطب والنجوم والمنطق والفلسفة ، إنه ترعرع فى مهد العلم والدين ونشأ نشأة علمية أدبية ، حتى كان فى ريعان شبابه فوقع فيما وقع من لهو ومجون وانغمس فيه كما انغمس سائر الشباب

فى عصره ، ولكنه صادف رجلا غير حياته وغير إتجاهه فى أيام قلائل وهو الشيخ السيد أحمد الشهيد ، و إذ كان شابا تعمل فيه عواطف مختلفة وتنفس فى ظله الوارف الناعم فانقطع للشعر و صبغه بصبغة دينية وسلك فيه مسلكا لم يألفه الناس فى هذا العصر .

كانت فى عصر مومن (١٨٠٠ م - ١٨٥٣ م) ثلاث طبقات للشعراء ، أما الطبقة الأولى فكانت لاتبالى بما جرى حولها ، ولاتشعر بمجرى الحياة التى كانت تجرى بسرعة و تتغير فى كل لحظة ، فانك لاتجد فى شعر هذه الطبقه من الشعراء أى أثر للحياة وتطوراتها ، إنهم كانوا يصوغون الشعر على نمط قديم و أسلوب رواثى خاص ويكررون المعانى المعادة ويستعملون تعبيرات غريبة فلاتجد فى أشعارهم روعة فكر أو ابتكار وتجديد، وتقديم رأى جديد ، إن هذه الطبقة يمثلها « ابراهيم ذوق » و تستحق أن تسمى « بشاعر الدولة » بالقلعة المعلى . والطبقة الثانية للشعراء كانت قد بدأت تعثر على تطورات الحياة وتياراتها المختلفة ، وكان هذا الشعور وذلك الحس كشوكة صغيرة تشوك جسمها فتحس بالألم حيناً وتطمئن إلى حالتها أحياناً . ويمثل هذه الطبقة الشاعر « غالب » الذى إمتاز ببعد النظر وابتكار المعانى الجديدة ونزل فى أغوار الحياة وصور خلجاتها و دواجسها فى شعره ، يقول :

إن الايمان يجذبنى إليه والكفر يأخذ بحجزى ويأخذنى
إلى نفسه فيا لحرج الموقف ، الكعبة خلفى والكنيسة أمامى .

إن الشاعر يعبر بهذا البيت الحالة النفسية لكثير من أبناء

ذلك العهد ، إنه يحكى عن نفسه ويقول :

إنه حائر لايعرف مايفعل ؟ وأى سبيل من السبيلين يختار ؟ سبيل الكنيسة أم سبيل الكعبة ؟ إنه يعبر بالكنيسة الانجليز الذين أتوا إلى أهل الهند بحضارتهم الجديدة ولغتهم الأجنبية ، كما عنى الشاعر بالكعبة أهل الشرق وحضارتهم الضئيلة المتخلفة فى الهند فكأنها كانت خلف الشاعر ، أما الحضارة الانجليزية فكأنها كانت أمامه ، فهناك ترى أن الشاعر أصبح مبهوتاً مدهشاً لايعلم ماذا يصنع و إلى أين يذهب ؟ ماكان له من الممكن أن يترك كل ما ورث من آبائه من الثقافة و الرواية و العلم ، و ماكان فى إستطاعته أن يترك العلوم الجديدة والحضارة الأوربية تركا باتاً ، إذن ما هو السبيل وكيف يوفق بين هذا و ذاك ؟ ولاشك أن غالب (شاعر عصره) كان يشعر بالداء ولكنه ما كان يعرف الدواء ، وهذا البيت يظهر النزعات التى كانت شائعة بين الناس فى ذلك الزمان ، فكانت هذه الطبقة من الشعراء تشعر بالانقلاب الذى يريده المجتمع، والثورة التى كانت تحدث فى عقلية الناس وحضارتهم ، ولكن لم تكن أمام هذه الطبقة غاية معينة فكانت هذه الطبقة مذبذبة بين هذا و ذاك .

أما الطبقة الثالثة من الشعراء الأردية فكانت تشعر بشؤن الحياة كل الشعور ، و كانت تحاول إصلاحها بكل طريقة ممكنه ، وكان رجال هذه الطبقة يرون أن السياسة قد بلغت إلى الدرجة القصوى من الفساد و الخراب ، و الأخلاق القبيحة شاعت فى المجتمع الهندى إلى حد فاحش ، كذلك كانوا يرون أن الانجليز

يريدون أن ينتزعوا الحكم من أهل الهند .

و كان الشيخ السيد أحمـــد الشهيد قد قام فعلا بثـورة ضد الانجليز و بعض ملوك الطوائف ، و كانت دعوة الشيخ دعـــوة إسلامية ولكن ليس فيه شك أنهم كانوا يريدون أن ينفوا الانجليز من أرض الهند ، ولأجل ذلك توجس الانجليز خيفـة من دعوة الشيخ و قعدوا لها بكل مرصد .

وكان «ومن» يعتقد أن جـلاء الانجليز لا يمكن إلا بهذه النهضة الإسلامية الجديدة ، و قد قال فى قصيدة له بالفارسية ، إن الانجليز ما زالوا يتقدمون إلى الأمام ، فعلينـا أن نعد لهم عـــدة » .

كان «ومن» يريد أن يأتى بانقلاب إسلامى فى مجتمعـــه و أن يقاوم تلك القوات التى حاربت المسلمين و بغت عليهم ، و له قصيدة رائعـــة يحرض فيها الناس على الجهاد ضد هذه القوات الباغية ، و قد قالها فى احسن أسلوب وأمتن تركيب و أجمل عبارة ، إذا قرأت هذه القصيدة تجدد إيمانك و رأيت نوراً ساطعاً من الإيمان يضئ قلبك و عقلك ، و هنا نقـــدم بعض أبياته على سبيل المثال ،

« يا أيها الســـاقى ! أسقنى شراباً طهوراً لأن خمـــر الفجور تحطم أعصابى » .

« و أعطنى جرعة من جرع الدين حتى أحس دبيباً فى جسمى من نشوتهـا » .

« إننى أود أن أشرب جرعة بعد جرعة من دماء الملحدين و أجاهد جهاداً كبيراً فى سبيل تنفيذ شريعته » « صلى الله عليه وسلم »

« الإمام السيد أحمـــد هو نور مجسم وظل الله يستحى النجم والقمر من جماله » .

« مرحباً بك أيهـا السيد الإمام ، إنك مقبول عند اللـــه و قد برزت للامتحان الذى برز له رسول الله صلى عليه وسلم » .

« ألا يا أهل القلوب ! إعلموا أن رحمـــة الله تنزل متتابعة غير منقطعة فى هذه الأيام » .

« هـا قد اجتمعت جنود الاسلام ، وهذا وقت العمل إن استطعتم إلى ذلك سبيلا ! » .

« اللهم ارحم على و أخرجنى من هذه المدينة حتى أقابل إمام الزمان » .

« واجعلنى سيفاً قاطعاً تطير به أفئدة أصحاب البدعة والنفاق »

« يا رب ! ألحقنى بجنـــود الإسلام لأن شـــوق الشهادة قد اشتد بى حتى كأن الدم فى جسمى يجيش و يغلى » .

و لاشك فى أنه كان أول شاعر هندى أظهر نظريتـــه عن الإســـلام فى أبياته ، و كان الشعراء قبل هذا يقولون الشعر فى الحب والغزل فقط ، أما هذا الشاعر العظيم فقد اختار أساليب جديدة لبيان نظريته وعواطفه الدينية . وهو يستوى فى هذه الناحية الخاصة شاعر الإسلام الدكتور محمـــد اقبـــال الذى ظهر بعده بزمن طويل .

إن الدكتور اقبال يعرض الإسلام أمام الانسانية كفلسفه الحياة و يدعو الناس إليها بكل قوة و وضوح ، و أما « مون » فليست له فلسفة كفلسفته ولا دعوة كدعوته ، و إنما هو يدعو الناس إلى دعوة الإسلام وإلى الكفاح فى سبيله فى أسلوب شعرى أخاذ تملوه العاطفة والحب و الإجلال ، لأنه كان شاعر الغزل والنسيب أولا فلما رجع إلى الإسلام إنتقى من روحه فجمع بينهما و وضع رصيده الأدبى السابق فى خدمة الايمان الجديد والعاطفة الجديدة والحب الجديد الذى ذاق حلاوته فى ظلال الاسلام .

بشرى سارة لباعة العطور
فى العالم
(عطور فاخرة) (بأسعار مغرية رخيصة)

مخزن و محل السيد محمد يوسف وأولاده فى شارع نادان محل لكهنؤ « الهند » للتصدير والنقل ، يهتى العطور من شتى الأنواع ، العطر الزعفرانى و حنا و شمامة العنبر و عطر العنبر وغيرها من العطور الفاخرة الطيبة المنشطة .

فاغتنموا الفرصة واطلبوا منه العطور من جميع أنواعها واقصلوا بالعنوان التالى ولا تفوتكم الفرصة فانها بأسعار رخيصة معقولة :

عنوان المخزن والمحل : الهند ، لكهنؤ شارع نادان محل
عنوان البرقيه : « زعفرانى » لكهنؤ (الهند)
رقم الهاتف : ٢١٦٦

روائع اقبال

للاستاذ السيد ابى الحسن على الحسنى الندوى

أول كتاب نجح صاحبه فى نقل أفكار الشاعر الكبير شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال و ترجمة شعره إلى اللغة العربية فى أسلوب ادبى رفيع و طريقة مؤثرة فإنك لاتقرأ هذا الكتاب إلا و يخيل إليك كأنك تقرأ الشاعر فى شعره و لغته ،

ملتزمة النشر و التوزيع دار الفكر بدمشق

ثمنه ـــــــــــــــ ٥ ـ روبيات

اطلبوا من مكتبة دار العلوم ندوة العلماء باد شاه باغ لكهنؤ الهند